أهمية المنهج التاريخي، ووضع المعاجم التاريخية

بحث في علم اللغة

إعداد أ/ شادية بيومي حامد
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
shadia@mediu.ws

خلاصة—هذا البحث يبحث في الأساس الأول في أهمية المنهج ا لتاريخي، ووضع المعاجم التاريخية ، اعتماد الدراسة التاريخية على المادة المكتوبة، وعلاقة المنهج التاريخي بالمقارن.

الكلمات المفتاحية: أهمية المنهج التاريخي، ووضع المعاجم التاريخية، اعتماد الدراسة التاريخية على المادة المكتوبة، وعلاقة المنهج التاريخي بالمقارن.

I. *المقدمة*

إن لهذا المنهج أهمية بالنسبة لعلم اللغة، وبخاصة في الجوانب الدلالية؛ فعن طريقه توضع المعاجم التاريخية التي تسرد تاريخ المفردات، وتوضح ميلاد المفردات الجديدة، أو ميلادَ معانٍ جديدة لمفردات قديمة، كمعجم أكسفورد للغة الإنجليزية، ومعجم اللغة الفرنسية التاريخي.

II. موضوع المقالة

إن لهذا المنهج أهمية بالنسبة لعلم اللغة، وبخاصة في الجوانب الدلالية؛ فعن طريقه توضع المعاجم التاريخية التي تسرد تاريخ المفردات، وتوضح ميلاد المفردات الجديدة، أو ميلادَ معانٍ جديدة لمفردات قديمة، كمعجم أكسفورد للغة الإنجليزية، ومعج م اللغة الفرنسية التاريخي.

وإذا كان علم اللغة الوصفيّ يمكن أن يوصف بأنه علم ساكن؛ لأن اللغة فيه توصف بوجه عام بالصورة التي توجد عليها في نقطة زمنية معينة، فإن الأمر يختلف بالنسبة إلى علم اللغة التاريخي؛ إذ يتميز بفاعلية مستمرة؛ فهو يدرس اللغة من خلال تغير اتها المختلفة، وتغيرُ اللغة عبر الزمان والمكان خاصةٌ فطريةٌ في داخل اللغة وفي كل اللغات.

كما أن التغير يحدث في كل الاتجاهات - مستويات صوتية، ومستويات صرفية، ومستويات نحوية، ومستويات مفرداتية- ؛ ولكن ليس على مستوًى، ولا طبقًا لنظام معين ثابت.

هذه التغيرات اللغوية تعتمد على مجموعة من العوامل التاريخية، وبينما يمكن دراسة هذه التغيرات دراسة وصفية هي محض تعريف بأشكال التغيرات الحادثة؛ فإنه لا يمكن عزلها عن الأحداث التاريخية التي تصاحب وجودها، إذًا هذه التغيرات الحادثة في الأصوات والمفردات والصرف والنحو والتراكيب، لا يمكن عزلها عن الأحداث التاريخية التي تصاحب وجودها.

ولمَّا كانت الوظيفة الأولى لعلم اللغة الوصفية هي : أن يصف، ولعلم اللغة التاريخي هي: أن يعرض التغيرات اللغوية، كان من الصعب الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العملي؛ وذلك لأن كل المصطلحات التي استعملت تحت العنوان الوصفي قابلة كذلك - من الناحية العملية- للاستعمال مع الفرع التاريخي.

فالدراسة الوصفية تعني: دراسة اللغة أو إحدى ظواهرها في حيز زمني محدد، بصرف النظر عن حالة اللغة قبل وصولها إلى تلك الحال المدروسة، وبصرف النظر أيضًا عن حالتها بعدها، كأن ينظر الباحث مثلًا في مدى تخصيص اللغة العربية للعاقل وغير العاقل باسمين موصولين متميزين: "مَنْ" و"مَا"؛.

متى مُيز بين العاقل وبين غير العاقل؛ فخص العاقل بـ"من" وغير العاقل بـ"ما"؟

نستطيع أن نتعرف على ذلك من خلال دراستنا للقرآن الكريم، فنقف على الفترة الزمنية التي خصّصت فيها "من" بالعاقل، و"ما" بغير العاقل.

كذلك قد تتناول الدراسة التاريخية ظاهرةً لغويةً ما، عبر تطورها التاريخي؛ بأن يعمد الباحث اللغوي إلى استقراء ظاهرة تمييز العاقل وغير العاقل في العربية منذ كانت لنا وثائق لغوية ونصوص مؤرخة.

وقد كان المنهج التاريخي منتشرًا طيلة القرن التاسع عشر، وكان طاغيًا على المناهج الأخرى، حتى جاء "فرديناند دي سوسير " فأبرز أهمية الدراسة الوصفية للظاهرة اللغوية.

والمنهجان معًا: الوصفي والتاريخي، يرسمان بيانًا بمحورين متقاطعين: أحدهما أفقي، وهذا يمثل الصيرورة الزمنية؛ حيث يكون مجموعة من النقط المتعاقبة، مثلما أن التاريخ مجموعة أزمنة متلاحقة . والآخر عمودي، ويشير إلى الوقوف في محور الزمن على نقطة معينة أو حيز محدد.

من حيث طبيعة البحث: لا بد أن تعتمد الدراسة التاريخية على المادة المكتوبة بقدر ما تعتمد الدراسة الوصفية على المادة الكلامية للمتكلمين أحيانًا، كما أن الدراسة التاريخية تكشف أيضًا عن طبيعة التطور الذي حدث للغة وتفصح عن أبعاده وتُمدنا بأسراره لنقف على القوانين اللغوية التي تخضع لها اللغة.

فللدراسة التاريخية تجمع بين اللغة المتكلمة واللغة المسجلة المكتوبة، والمادة المكتوبة هي ما يجب أن تكون عليه اللغة، يعني : اللغة كانت هكذا ثم تطورت في اللغة المتكلمة أو اللغة المنطوقة.

عندنا لغة منطوقة، ولغة مكتوبة، والكلام يعبر عن اللغة، أما الكتابة فهي تعبير ثانوي عن اللغة.

إذن تعتمد الدراسة التاريخية على اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة؛ لنتعرف من خلال النصين -النص المكتوب، والكلام المنطوق- على ما حدث للغة من تطور عبر التاريخ من خلال الزمن.

وليس المنهج المقارن إلا امتدادًا للمن هج التاريخي في أعماق الماضي السحيق، فإذا أردنا أن نقارن بين النصوص القديمة والحديثة فلا بد أن نعتمد على المنهج التاريخي؛ ولذلك نقول: إن المنهج التاريخي له أهميته بالنسبة لعالم اللغة،... إلى آخره.

بينما تجمع الدراسة الوصفية المادة دون اختيار أو تفضيل تعبير على آخر، وذلك عكس الدراسة المعيارية التي تقوم بانتقاء المادة محل الدراسة، وانتخابها لتحظى بالقبول، وتحوز الرضا عند الطبقة المثقفة.

المنهج الوصفي عبارة عن أ، ب ... الدراسات اللغوية ؛ ولذلك عندما يصعب علينا التعليل نقول: خذ هذا على علاته، أو كما قال القدماء: أيا كذا خلقت.

فالمنهج الوصفي لا يعلل ولا يفسر ، ولا يعترف بالبنية التحتية ، ولا ينتقي نصًّا من النصوص. كما أن الدراسة الوصفية لا تفضل تعبيرًا على آخر ؛ فالأساس في الدراسة الوصفية هو استعمال أسلوب بلهجة معينة ، بلهجة القاهرة ، بلهجة دمشق ، بلهجة الحجاز، بلهجة موريتانيا، بلهجة الجزائر، بلهجة سوريا.

والمنهج المعياري ينتقي النصوص من عصور الاحتجاج؛ من القرآن الكريم ، من الشعر العربي الفصيح في عصور الاستشهاد - شعراء جاهليين، شعراء مخضرمين، شعراء صدر الإسلام؛ الذين اعترف بهم البعض- فالدراسة المعيارية تقوم بانتقاء المادة - محل الدراسة- وانتخابها، كما يميز الباحث في هذه الدراسة بين مستوى الصواب ومستوى الخطأ.

المراجع والمصادر

١. ماريو باي، أسس علم اللغة ، ترجمة: أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م.
٢. أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.
٣. إبراهيم أبو سكين، اللهجات العربية والقراءات القرآنية، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، ٢٠٠٦م.
٤. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧ م.
٥. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، بيروت، دار القلم، ١٩٨٠م.
٦. صبحي الصالح، بيروت ، دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
٧. إبراهيم أبو سكين، علم الدلالة، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ٢٠٠٣م.
٨. إبراهيم أبو سكين، علم الصوتيات، وتجويد آيات الله البينات، كلية اللغة العربية، الزقازيق، جامعة الأزه ر، ٢٠٠٠م.
٩. كمال بشر، القاهرة، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة والنشر ، ١٩٩٧م.
١٠. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، جامعة الملك سعود، عماد شئون المكتبات، ١٩٩١م.
١١. إبراهيم أبو سكين، علم اللغة، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ١٩٩٧م.
١٢. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، ١٩٧٢ م .
١٣. أحمد علم الدين الجندي، عن التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي الصرفي، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.
١٤. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م.
١٥. رمضان عبد التواب، في أصول اللغة، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.
١٦. إبراهيم أبو سكين، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، دار الفاروق الحديثة للطبع والنشر، ١٩٩٦م.